العدد ١٨ آب ٢٠٢٥
No. 18 – Ang 2025
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

الجذور التاريخية لنشأت الاحزاب والفرق الاسلامية

The Historical Roots of the Emergence of Islamic Parties and Sects

أ.م. ياسمين حاتم بديد/ جامعة كربلاء/ مكتب السيد المساعد الاداري المحترم

A.M. Yasmine Hatem Badid / University of Karbala / Office of the Honorable Administrative Assistant

الملخص:-

إن مجرد قبول الاخر هو اعتراف ضمني بالتعدّدية في أي مجتمع، وهذا التعدد يعني ان هناك تنوع ديني وعرقي وسياسي، وقد حرص النبي ص ان يرسخ هذا المبدأ وبأمر من الله سبحانه وتعالى:"قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"(سورة آل عمران، اية: ٦٤) وهذه الآية الكريمة صريحة بالدعوة الى التعايش في المجتمع الواحد دون المساس بما يحمله الفرد من عقيدة دينية، بل تكون قاعدة مشتركة واحد تكفي لهذا التعايش وهي عبادة الله الواحد، وتأتي فيما بعد المشتركات الأخرى والتي تعزز الانتماء للمجتمع وتكوين هوية خاصة للدولة الإسلامية فيما بعد.

أضف الى ذلك مبادئ الاحترام التي رسخها النبي الأعظم ص لتجنب الازمات التي تحدث نتيجة الاختلاف العقدي والمصلحي بل حتى في نمط الحياة التي تعيشها الأقليات الدينية والقبلية، لذلك كان لزاما عند تأسيس الدولة المحمدية إيجاد خطوات تلائم هذا التعدد والحرية الإسلامية لفئات المجتمع الناشئ وفق اطر مدنية مناسبة.

ولكي تحافظ الدولة المحمدية على مبادئها التي نادت بها كان لابد من السماح لإنشاء أحزاب لتلك الأقليات والاتجاهات للتعبير عن الإرادة الحقيقية للعيش المشترك قال سبحانه تعالى:"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"(سورة الحج، اية:١٧)، وبذلك يتحقق الانتماء الحقيقي لحزب من خلال عدم الاكراه للانتماء الى الدين، تسعى دولة الرسالة الى صهر هذه الطوائف في مجتمع شامل مرتبط بحكومة مركزية للحفاظ على منجزاتها، وقد استطاعت الدولة المحمدية من النمو والتطور والصمود امام التحديات التي كانت تحيط بها من دول الجوار البيزنطي والفارسي.

الكلمات المفتاحية:-التعددية، الحزب، الشيعة، السقيفة، الوحدة الاسلامية

Abstract:-

The mere acceptance of the other is an implicit recognition of pluralism in any society, and this plurality means that there is religious, ethnic and political

diversity, and the Prophet was keen to establish this principle by the order of Allah (Say, O People of the Book, come to a word of equality between us and you, that we do not worship anything but Allah and do not take each other as gods other than Allah,If they turn away, then say, “Bear witness that we are Muslims.” (Al-Imran 64) This verse is explicit in calling for coexistence in the one community without compromising the individual's religious belief, but rather a single common base is sufficient for this coexistence, which is the worship of the one God, followed by other commonalities that strengthen the belonging to the community and form a special identity for the Islamic state later on.

In addition to the principles of respect established by the Prophet to avoid the crises that occur as a result of the difference in belief and interest, and even in the lifestyle of religious and tribal minorities, so it was necessary when establishing the Muhammadan state to find steps that fit this plurality and Islamic freedom for the categories of the emerging society according to appropriate civil frameworks.

In order for the Muhammadan state to preserve the principles it advocated, it was necessary to allow the establishment of parties for these minorities and trends to express the true will for coexistence, the Almighty said: "Those who believe, those who have been converted, the Sabina's, the Christians, the Christians, the Christians, the Magi, and those who have committed polytheism, Allah will judge between them on the Day of Resurrection, for Allah is over all things a witness.

In this way, true belonging to a party is achieved through the absence of coercion to belong to the religion, the state of the message seeks to melt these sects into a comprehensive society linked to a central government to preserve its achievements, and the Muhammadan state was able to grow, develop and withstand the challenges that surrounded it from the Byzantine and Persian neighboring countries.

Keywords:

Pluralism, Party, Shi'ism, Saqifah, Islamic Unity

المقدمة:-

يعتبر مصطلح التعددية في الاسلام من المصطلحات الحساسة جداً وذلك لأنها على طول الزمن ومنذ بدء الرسالات اخذت بالتفرع والتوسع حتى وصلت الى الشريعة الاسلامية السمحاء فدخلت أدبياته وشغلت شخصياته وطغى على معظم الادبيات الاسلامية سنية كانت او شيعية، فأثار فضولنا هذا المصطلح فأحببنا ان نسلط الضوء على مقدماته واسس نشوؤه واراء العلماء في نشأته حيث انهم قد اتخذوا عدة نقاط تاريخية لتبلور التعدد في الاسلام ونقصد بالتعدد المجرد بدون تعدد سياسي او اقتصادي او اجتماعي حيث ان هذه المسميات قد اخذت زمناً حتى ارتبطت بمبدأ التعدد، ولكي لانحسب على الذين يثيرون دعوة فصل الدين عن السياسة او بمعنى اخر ركن الدين في زاوية من زوايا الحياة دون ان يتدخل في المجتمع او في الاقتصاد او في السياسة وكل هذا لكي يسيطر التيار المادي على التيار الالهي من خلال تحجيم الدين ولكي لا يتفاعل الناس مع مفردات الحياة .

لقد حاول الاسلام من خلال علماءه وادباءه ان يربطوا المجتمعات الانسانية وبنوايا طيبة وبشكل حذر لكي يصل الى مرحلة المجانسة بين الثقافات التي دخلت الاسلام وبين مفاهيمه، وقد كان مبدأ المساواة هو اول اشارة للتعددية فالدولة عندما تكون عادلة في احترام الرأي وتوزيع الغنائم (الثروة) تستطيع ان تضمن ولاء المجتمع لها وكذلك فان هذه الدولة التي تؤمن بالمساواة" انّ النّاس من عهد آدم الى يومنا هذا مثل أسنان المشط لا فضل للعربيّ على العجميّ و لا للأحمر على الأسود إلّا بالتّقوى"(الكوفي ، ١٩٧٤ م، ج٢، ص٨٢٣)، فإنها تؤمن بالتعددية لكي لا تضيع اصوات شريحة من شرائح المجتمع، ان حاجة المكتبة الاسلامية وخاصة الشيعية منها، فأنها بحاجة الى هكذا بحوث وخاصة في الملفات الاكثر حساسية فلم اجد الا القليل من العلماء قد تناولوا هذا الموضوع سلباً او ايجاباً بل حتى من ناحية القدح، وذلك خشية ان لا يدخلوا في مزالق الامامة والولاية.

نحن نحتاج في هكذا مواضيع حساسة الى ايجاد اسس اسلامية متجذرة في الاسلام وليست بدعة متخذين من النصوص القرآنية والاحاديث الشريفة وما صح من السنة وما فهمه علماءنا في السلف من النصوص وكيف حللوها وبنوا عليها اراءهم ومبانيهم لذلك نرى ان المنهج التاريخي ممزوجاً مع المنهج النقلي وبعض المقارنة لكي نوثق ونستقرئ ونحلل لنصل الى استنتاج عقلي منطقي نستطيع ان نؤسس عليه المباني التي نصل اليها، ان من الالفاظ التي تشترك مع لفظة التعدد هي لفظة التنوع والاختلاف فهي ايضاً تؤدي الى ان هناك تعدد في المجتمع، ان التعددية لابد لها من ارض خصبة تشتمل على التنوع والتميز وخصوصيات فئات المجتمع ونحن لا نستطيع ان نطلقها على مجتمع بينه وبين فئاته قطيعة او وجود عدم انسجام بين

افراده او ان هناك فئات مجتمعية مقهورة، فهذا لا يمكن ان يصلح لتطبيق التعددية فلابد من وجود وحدة تجمع هذه الشرائح والفئات لتكوين مجتمع يصلح لهذا التعدد.

المبحث الاول: التعدد والتشيع والتحزب في الاسلام

عندما ندخل في موضوع التعددية والحزبية واختلاف الآراء الدينية نقترب ولو بصورة قليلة عن التحدث في تاريخ نشوء هذه الفرق والاحزاب الدينية وبالخصوص الاسلامية وماهي علة تشكلها، قال تعالى:" وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ"(سورة المائدة، اية ٥٦)، هذه الآية تدل بصورة غير مباشرة على وجود تكتلات حزبية مشابهة لما في حاضرنا لان الله عز وجل في هذه الاية يدعو الناس الى الالتحاق بالرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وخطه الرسالي وهذا يعني ان هناك شخصيات قد شكلت محاور اسلامية بالطول مع حزب الله وهذه التكتلات الحزبية تشكلت بعد تكوين الدولة وبناءها الالهي وان صح التعبير نقول دولة ديمقراطية سمحت بنشوء التيارات وان كانت معارضة، ولكن بشرط ان يأمن جانبها، فدولة الاسلام بنيت لتقبل الاخر وفق قوله تعالى:" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"(سورة البقرة، اية: ٦٢) وهذه الاية الكريمة تدل دلالة واضحة على المقبولية لكل هذه الفئات في المجتمع الإسلامي، وممارسة حياتهم بصورة طبيعية، بل لقد بلغت الديمقراطية للدولة الإسلامية مبلغا قبل حتى المجوس والمشركين"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"(سورة الحج، اية: ١٧)، وكذلك نرى المرونة السياسية في الاية الكريمة "وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ"(سورة الشورى، اية: ٣٨)، فالشورى هو التنوع والتعدد في الاراء وهذا التنوع والتعدد يقتضي اختلاف في الرؤى، بشرط عدم التعدي على حدود الله قال تعالى: "تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا"(سورة البقرة، اية ١٨٧)، او ممارسة الضغط على الديانات والطوائف المستضعفة، ولكي تكون اهداف الشورى منطلقة من القران ومتطابقة مع الاهداف الاسلامية والتي تعمل تلك الاحزاب على تحقيقها، بدأً لابد ان نحدد حدود المفاهيم (التعددية، التنوع، الحزب، الشيعة):

التعددية:- واصلها من تعدد من الجذر عدد، وهي "من تعدد يتعدد تعددا فهو متعدد" (ابن فارس، د ت ، ج٤، ص ٢٩) وتاتي بتعدد الآراء في موضوع واحد، وياتي معنى التنوع والاختلاف، فالتنوع اتى من تعدد النوع كما في تنوع الفاكهة مثلا، واما التعدد فأصله العدد ولأنه من الكميات التي تألفت من الوحدات المتعددة(ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج٣، ص٢٣١)، وكذلك فان الاختلاف هو ضد الاتفاق على اساس ان الاختلاف في الرأي يأتي من وجود دليل على كل رأي(البستاني، ١٨٦٩م، ص٣٥٠)، لذلك نرى ان التعدد والتنوع والاختلاف قد وردت في كلمة قرآنية واحدة وهي (المشاكلة) في قوله تعالى:"قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا"(سورة الاسراء، اية: ٨٤).

اما التشيع: فهو من الشيعة والفرقة والطائفة التي شاعت، وشاعه شياعا بمعنى اتبعه، وتأتي بمعنى الأنصار والاتباع (الجوهري، ١٤٠٧هـ، ج٣، ص١٠١٢).

والحزب: هو جمع وتنظيم الناس وتقويتهم وشدهم الى بعض وفق الاهواء والمصالح المتشابهه ليصبحوا قوة مؤثرة في المجتمع (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج١، ص٣٠٨)، الحزب هو ثمرة طبيعية تتشكل من واقع الدولة وافكارها وما ورثته من الحركة التاريخية لها، وعليه فيكون زمن دولة الرسالة المحمدية هو زمن ظهور جذور الفرق والاحزاب الاسلامية، ونستطيع ان نستشف ذلك من الاجتهادات التي كان يدلي بها الصحابة لرسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ومنها ما كان يوافق عليها ومنها ما كان ينتقدها ومنها ما كان يسكت عنها(الشهري، ١٤٣٧هـ، ص٢٢٤).

اننا نعلم ان ادارة الحكم يحددها مؤسس الدولة وبانيها، وبما ان الرسول الاعظم ص قد سمح للفرق الدينية والشرائع التي سبقته بل حتى قد قبل المشركين ان يعيشوا في دولته وان يشاركوا المجتمع الاسلامي رغد العيش، اذا علمنا ان هذه الاحزاب لها جذور من الماضي وقبل نشوء الدولة الاسلامية قال تعالى"وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ۚ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ"(سورة ص، اية: ١٣)، وكذلك قوله تعالى:"كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ"(سورة غافر، اية: ٥)، "فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ"(سورة الزخرف، اية: ٦٥)، والى غيرها من الايات التي ذكرت هذا التحزب والتشكل، فكان الامل من تشكل هذه الفرق والاحزاب هو المساعدة في تسهيل حركة المجتمعات الموجودة والتي ستلتحق بركب المسلمين، وتطورت هذه الاراء الفكرية للفرق الاسلامية التي تشكلت منذ عصر الرسالة الاول ومنها انطلقت المدارس الفكرية واراءها ومبادئها واصبح لها برنامجها الخاص بها وتشكل لهذه الفرق نظام كانت تسعى بكل ما اوتيت من قوة لتحقيق مبادئها من خلال السيطرة على الحكم فقد اصبحت الافكار لتلك الفرق ونظرياتها عقيدة دينية وقانوناً لابد من تطبيقه وتنفيذه واتباعه بل اصبح اكثر من ذلك، اصبح هناك مُثل أخلاقية ومبادئ لابد للمنتمي لها ان يهتدي بهديها وان يتحلى بها، هذا الانعطاف الفكري من الفرق الاسلامية كان لها الاثر البالغ في الانعطافات التاريخية التي حدثت للشريعة الاسلامية(الإسفرائيني، ١٩٨٣هـ، ص١٨٧).

بدأت الفرق الإسلامية وخاصة بعد انتقال الرسول الى الرفيق الاعلى بإبراز امكانياتها البلاغية والكلامية من خلال الخطب والمناظرات(ابن ابي الحديد، ١٣٨٧هـ، ج٦، ص١١) والمقالات التي تبنتها لإثبات احقيتها في الفهم الاكثر للإسلام وانها الاكثر احقية باستلام الحكم للخروج من مأزق التمزق، فعندما حدثت

السقيفة كان الشرخ الاكثر خطورة على نظام الدولة الإسلامية، لان السقيفة كانت خروجاً عن العهود والمواثيق التي ابرمت لعلي ابن ابي طالب(عليه السلام) بإعتباره الشخصية الثانية بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) في الهيكل التنظيمي لحزب الله، ولكن الاحزاب الاخرى كالأموية والمروانية والمهاجرين والانصار كان لهم رأي اخر باعتبارهم يحملون اجندات تعزز ملكهم ووجودهم فبرز شيعة لكل حزب وامتاز شيعة علي بالتزامهم بالإسلام و المنهج المحمدي القويم (الميلاد، ، ١٤١٤هـ، ص٣٠).

ان اول حزب يواجهنا في تشكيل الدولة المحمدية هو حزب الله الذي مثله الرسول الاعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي ابن ابي طالب(عليه السلام) وابا ذر الغفاري وسلمان المحمدي والمقداد ابن الاسود الكندي وعمار ابن ياسر (الصدر، ١٣٨٥هـ، ص٣١)، وهذه الكتلة بالرغم من انها كانت موجودة منذ بدء الرسالة ولكنها ظهرت بصورة واضحة جداً بعد شهادة الرسول الاعظم فبدأ الاجتهاد على اشده للسيطرة على مقاليد الحكم من قبل باقي الشخصيات المتصدية لقيادة الاحزاب الموجودة في الامة الاسلامية، وازداد هذا الظهور والوضوح والتحديد لهذه الاحزاب بصورة واضحة وجلية بعد مقتل خليفة المسلمين عثمان ابن عفان سنة(٣٥هـ)(البلاذري، ١٤١٧هـ، ج٥، ص٥٧٨)، فقد حاولت تلك الفرق والاحزاب الى الخروج من الازمة السياسية في ذلك الوقت بحل اسلامي موافق لرأيه فزادت الامور حرجاً وزادت الخلافات قوة وحده وجاءت الفتن كالزلازل فكان التشكل الاول للمذاهب الاسلامية السياسية(الميلاد، ١٤١٤هـ، ص٣٠).

هذه المذاهب الاسلامية ذات البعد السياسي كان لها فكر واحد يجمعها وهو السيطرة على نظام الحكم وزمام الامور واخذ البيعة لها فتحولت من حزب يريد ان يبني مجتمعاً الى تكتل مذهبي ينطلق من فكر سياسي واجتماعي للسيطرة بالقوة وفرض الرأي بالدماء فكانت مأساة الحروب الداخلية، لقد التزم علي ابن ابي طالب(عليه السلام) ومن كان معه من البقية الباقية من حزب الله بالشورى والانتخاب بالرغم من امامته للامة بالنص من الرسول الاعظم(صلى الله عليه وآله وسلم)(محمديان، ١٤١٧هـج٣، ص١٨٣)، ولكن ما اثير بالسقيفة من امور جعلت انحرافاً في ديمقراطية الحكم وخروجاً عن الشورى فلم يكن الخليفة الاول قد نصب باي من هذه الامور" فقال عمر: إنك لست متروكا حتى تبايع فقال له علي: احلب يا عمر حلبا لك شطره!.....اشدد له اليوم أمره ليرد عليك غدا! ألا والله لا أقبل قولك ولا أبايعه "(ابن ابي الحديد، ١٣٨٧هـ، ج٦، ص١١)، ولا حتى الخليفة الثاني حيث جاء بوصية من الخليفة الاول"أحضر أبو بكر عمر فقال له: إنّي قد استخلفتك على أصحاب رسول الله، صلّى الله عليه و سلّم، و أوصاه بتقوى الله"(ابن الاثير، ١٣٨٥هـ، ج٢، ص٤٢٦).

واما الخليفة الثالث فجاء بشورى الستة والذين يحكم رأيهم عبد الرحمن ابن عوف في تأييده للأكثرية (ابن كثير، ١٤٠٧هـ، ج٧، ص١٤٥)، هذه بذرة التفرقة نمت واصبحت شجرة تستظل الفرق الإسلامية تحتها، لذلك نرى ان مسلمين الفرق الدينية الذين تمحوروا حول قادتها وحسب مصالحهم.... كانت تحث قادتها

للخروج على الحاكم الظالم من وجهة نظرها او الى الانفصال او الى ضم الولاءات بين الاحزاب ضد الحزب الحاكم وعلى كل هذه الاحتمالات فأن سلطة الاحزاب السياسية كان هدفها الاول هو نيل السلطة.

ان لفظة الشيعة وردت في القرآن الكريم اربع مرات وهي تعني الفرقة او الحزب او الاتباع ولكنها خصصت لعلي ابن ابي طالب(عليه السلام) ومن تبعه من خاصة بعد وفاة الرسول الاعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) و بإعتباره اخو النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)"أخذ بيد عليّ بن أبى طالب، فقال: هذا أخي"(ابن هشام، د.ت، ج١، ص٥٠٥)، وابن عمه وصهره ومنه ومن زوجته البتول خرجت سلالة النبي الاعظم(صل الله عليه وآله وسلم) ولقد اتخذ من العراق مستقراً له ولشيعته(حسن، ١٩٨٨هـ، ص٤٥)، وللتوضيح، فنحن عندما نذكر الحزبية هنا فأننا نقصد به الجنبة الدينية خصوصاً وليس حزباً سياسياً كما يتبادر ذهنياً انه حزب سياسي قد انحرف عن الفكر الاسلامي ولكن بكل معنى من معاني الاية الكريمة"وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ"(سورة المائدة، اية: ٥٦)، فهذا الحزب الالهي هو حامل مشعل المبادئ الاسلامية السامية(الشيرازي، ١٤١٩هـ، ص١٠٠).

لابد ان نكون دقيقين في اختيار الالفاظ لكيلا تزل قدم فنبخس حقاً على اعتبار ان للسياسة والعمل الحزبي مساوئ لابد من عزلها عن الدين ولكن نستطيع ان نضع بعض المشتركات بين المصطلحات الدينية والاعمال الحزبية فالحكم مشترك بين مفهوم الخلافة والامامة والسلطة وكذلك مراقبة الامة لرأس السلطة ووزرائه وايضاً من المشتركات هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والواجبات باعتباره منهج برنامج اخلاقي للإصلاح ينطلق من نفس المبادئ التي يحملها الدين والحزب.

ان هذه الانقسامات والتكتلات جاءت من الاحاديث الموضوعة والكذب على رسول الله"قد كثرت علي الكذابة وستكثر بعدي فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار فإذا أتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به"(الطبرسي، ١٣٨٦هـ، ج٢، ص٢٤٦)، ومن هذه الاحاديث التي تمسك بها بعض الفرق ولم يؤيدها البعض الاخر هو حديث الفرقة الناجية وهذا المصطلح اشتقها علماء المسلمين من حديث ينسب الى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول فيه"ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية والباقون هالكون"(الحر العاملي، ، ج٣٧، ص٥٠)، فوضعوا لها علماء الاسلام اسم(الفرقة الناجية)(حسن، ١٤١٢هـ، ص٢٥)، وهي اكيداً تسير على خطى الرسول الاعظم واهل بيته الكرام وقد رواه الترمذي وصححه الالباني في سلسلة احاديثه الصحيحة وسار على ذلك ابن تيمية ولكن رفضته الشيعة الامامية حيث لم يرد في كتبها الحديثية الاربعة وكذلك رفضه اهل السنة لانه لم يرد في الصحيحين، عندما ندقق في حديث الفرقة الناجية نجد انه يبث الفرقة بين المسلمين في حين ان القران الكريم لم يخاطب الناس و المسلمين على انهم فرق وطوائف، لقد جاء بالوحدة وان الرسول الاعظم قد وحد القلوب المتشاكلة والمتفرقة

وانه قبل بكل مسلم ومؤمن بشرط الا يؤذي احدهم الاخر، ان الاختلاف الذي وقع بين الفرق الاسلامية قد نشأ في الامور الكلية فقد حصل الاجتهاد امام النصوص (المسعري، ١٤١٨هـ، ص١٧٢).

المبحث الثاني: السقيفة ودورها في تشكل الفرق الدينية

ان الصراع على السلطة للاستئثار بها كان السبب الرئيسي للانقسام الى طائفتين رئيسيتين، وهاتان الطائفتان هما علي وشيعته الذين تمسكوا بالنص والوصية وبأحقية الامام علي ابن ابي طالب(عليه السلام) بالخلافة الالهية للدولة الاسلامية والطائفة الاخرى والتي نفت ما جاءت به الطائفة الاولى وتمسكت بالشورى والاجتهاد امام النص لإيجاد حلول الازمات التي تمر على الدولة الاسلامية بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)(ابن حزم، ١٤٠٣هـ، ج٢، ص١٢٥)، وقد اطلق على هذه الطائفة فيما بعد بأهل السنة وقد امتدت هذه الفترة من بداية خلافة ابا بكر وحتى الحكم العباسي وطيلة هذه الفترة كان الاختلاف بين الطائفتين يتسع ويتعمق نتيجة عمليات الوضع على الحديث والسنة، فترسخت في عقول الامة اسس ودعائم هذا الاختلاف ويتصدر هذه الاختلافات الاختلاف الفقهي وتفرعاته من خلال اجتهاد الصحابة والتابعين وتابعي التابعين من علماء وفقهاء، فانقسمت هذه الفرق الى مذاهب كثيرة جداً، ومع تقادم الزمان اضمحلت معظم الفرق الدينية وتبقى منها اربعة رئيسية ومذهب واحد للشيعة(حسن، ١٩٨٨هـ، ص٢٨)، اننا عندما نقول ان مذهب الشيعة قد تشكل نقصد بهذا التشكل تشكل ديني خالص وليس تشكلاً سياسياً كباقي المذاهب وبحد ذاته ليس مذهباً مؤدلجاً بل هو مذهب يمثل الاسلام بكليته، ولكن الاحداث التي حدثت بصورة متسارعة من بعد وفاة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) جعلت العقول التي تريد الاستئثار بالسلطة ان تجعله محوراً مناوأً لها، في حين اننا نعلم ان أسس و نتائج حادثة السقيفة لم يكن منها خلافة للرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، بل هو خلافة لمسلمين بفرض الرأي دون شورى من صحابة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فكان محور امير المؤمنين ومن تبعه في اليسر والعسر وهم شيعته اما باقي المسلمين فأغلبهم كان عنده وتر لعلي(عليه السلام) وثاراً يطلبه من ايام حرب بدر وأحد وباقي الحروب التي خاضها علي ابن ابي طالب امير المؤمنين(عليه السلام) فلم يلتحقوا بعلي(عليه السلام) لغيضهم هذا(المحروس، ١٩٩٨م، ص٣٩-٤٠).

عندما نتصفح اراء علماء التاريخ حول موضوع نشوء الفرق والاحزاب الاسلامية نرى ان هناك اجماع عام ان علي وشيعته هم اول فرقة صرح بها الرسول الاعظم ص من خلال تفسير الآية الكريمة في قوله تعالى:"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ"(سورة البينة ، اية: ٧)،"انت يا علي وشيعتك"(الطبري، ١٤٨١هـ،ج١٢، ص٦٥٧)، ولقد اثبت علماء التفسير ان هناك ثلاثمائة اية قد نزلت في حق علي ابن ابي طالب(عليه السلام) تأييداً له والحث على اتباعه(ابن عساكر، ١٤١٥هـ، ج٤٢، ص٣٦٤)، وهذه الخصيصة للإمام علي ابن ابي طالب(عليه السلام) جعلت منه محوراً للالتفاف المؤمنين

حوله متمسكين بالإسلام الاصيل، بعكس الفرق والمذاهب الدينية الاخرى فقد كانت احزاباً سياسية حاولت جاهده للمحافظة على مصالحها فتحولت الى فرقة دينية بعد احاطة الحزب بهالة دينية من آيات و احاديث(هوفمان، ١٤١٣ هـ، ص١٢٤)، الرأي الاخر هو الذي يشير الى ان هذه الاحزاب قد تشكلت، والانقسام حدث في غرفة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يوم كان طريح الفراش وقد طلب منهم"دواة أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده ابدا"(ابن الأثير، ١٤٠٩هـ، ج٣، ص٣٦٣)، فمنهم من قال آتوه بما طلب وقسم قال انه يهجر(الطبري، ١٣٨٧هـ، ج٣، ص١٩٣) وفرض امرهم على الباقين، اما رغبة او رهبة فكان حزب السقيفة قد تشكل في تلك اللحظة بأمرة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب"احلب يا عمر حلبا لك شطره اشدد له اليوم أمره ليرد عليك غدا"(ابن ابي الحديد، ١٣٨٧هـ، ج٦، ص١١) وقد سطع نجمه وعظم امره فتفردوا برئاسة الدولة وتمكنوا من فرض اراءهم واجتهاداتهم على عموم المسلمين وخصوص المؤمنين، ومن خلال الاجتهاد في مقابل النص والآراء الخاصة بحزب السقيفة نعلم ان هذا الحزب كانت قد تشكلت نواته الاولى في حياة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وذلك حسب الاعتراضات التي كانوا يعترضون بها على اراء النبي وخطواته في قيادة الامة فنراهم قد خطوا خطواتهم الاولى لتحقيقها واحدة تلو الأخرى.

واصحاب هذا الرأي قد جعلوا من الامام علي (عليه السلام) ولياً لحزب الله من بعد الرسول الاعظم ومن بعد الامام علي(عليه السلام) كانت للإمام الحسن(عليه السلام) ومن بعد الامام الحسن كانت للإمام الحسين(عليه السلام) باعتبارهم اولياء وامناء شرعيين من قبل الله والرسول الاكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) (يعقوب، ١٤١٥هـ، ص٢٧٥-٢٨٠)، باعتبارهم اهل الكساء واهل القرآن"ِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ"(سورة النور، اية: ٣٦).

بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) حدثت امور خطيرة ومنها سقيفة بني ساعدة وتعتبر نقطة تحول في المسار الاسلامي للإرادة الالهية التي اختطها لرسوله ص فتمخضت هذه الاحداث عن اشياء كانت في ضمائر المسلمين اخفوها ولم يظهروها، فالنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لم يغسل ولم يشيع الى مثواه الاخير وترك في غرفته مع علي(عليه السلام) وبعض بني هاشم وبعض من المهاجرين والانصار والاغلب ذهب لسقيفة بني ساعدة لاستلام السلطة فأي حب لرسول الله هذا واي حب لاستلام السلطة هذه، انه استغلال الفرص لركوبها انهم لم يحضروا حتى دفن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)(ابن قتيبة، ١٤١٠هـ، ج١، ص٢٣).

هذا الحدث المهم الذي احدث انعطافه خطيرة في التاريخ الاسلامي هو الذي جعل للآراء المادية ان يكون لها بعد في الامة الاسلامية بعد ان رسخ الرسول الاكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) فيها الابعاد المعنوية ونبل الاخلاق فأضافت السقيفة بعد ان لغت الاخلاق التي جاء بها الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله

وسلم) الابعاد الدنيوية والآراء الشخصية باجتهادات خارج النصوص الدينية مما فتح باباً لكل صحابي ان يفرغ ما بجعبته وينسبوه الى الاسلام ليوافق مصلحته الحزبية والمذهبية حتى بلغ الامر بتكفير كل فرقة للأخرى وهذا ما بلغه الخوارج من تكفيرهم للإمام علي(عليه السلام)، اذا علمنا ان هذه الآراء التكفيرية قد خرجت من عقيدة مرتبطة بنصوص قرآنية فسرت على هواهم بعد ان فسروا الآية الكريمة"إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ"(سورة يوسف، اية: ٤٠)، واحاديث نبوية وضعت من قبلهم وسنة نبوية موضوعة(ابن عبد البر، ١٤١٢هـ، ج٣، ص١١٢١)، ان هذه الانقسامات والتي خضعت وانساقت للتفكير الخاطئ في تحليل وتفسير معاني الآيات القرآنية وعدم رجوعها الى اولي العلم واهل القرآن جعلت منهم العوبة لهوى الاجتهاد في فهم النصوص وهذا ادى الى زيادة الانشقاقات في صفوف الحزب الواحد والذي بدوره كان يسعى الى كل ما اوتي من قوة للسيطرة على الحكم، فتحولت هذه الاحزاب ونتيجة للحاجة لإيجاد مرتكزات عقائدية وفتاوى فقهية تؤكد احقيته بالحكم تحول الحزب الى فرقة دينية مقدسة لا يمكن تهميشها ومعارضتها ولكي يمنع الانشقاقات المتكررة وضعوا حديثاً بأن هناك فرقة واحدة من هذا التشرذم كله هي التي ستنجو في نهاية المطاف فتدخل الجنة وباقي الفرق كلها في النار في حين ان الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه المجيد:"وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ"(سورة البقرة، اية: ١١٣)، وكذلك قوله عز وجل"وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ۖ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ"(سورة المائدة، اية: ١٨)، وكذلك قوله تعالى:"وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ"(سورة التوبة، اية: ٣٠)، فلا توجد خصوصية بعينها لهذه الفرقة وهذه الفرقة الا بما وضعه الله من حدود للمؤمنين كقوله تعالى:"لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ"(سورة البقرة، اية: ١٧٧).

ان الاستدراج نحو الهاوية الذي سارت عليه الاحزاب والفرق فيما بعد جعلهم يدخلون في نفق الغلو حتى يثبتوا احقية صاحبهم وفرقتهم التي ستنجو من العذاب وهذا ادى الى سوء ظن بالأخرين ومن بعد ذلك تكفيرهم من خلال وضع الأحاديث التي تصرح بكفرهم وعلى لسان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) (حسن، ١٤١٢هـ، ص٢٥).

المبحث الثالث: ـ الوحدة الاسلامية والتعدد

هناك نظرة سلبية وحساسة جداً على اعتبار ان التعدد صورة من صور تجزئة الاسلام في حين اننا لو دققنا النظر نجد ان خاتم الانبياء(صلى الله عليه وآله وسلم) قد جاء برسالة قد كملت ما سلف من رسالات، بل انه صحح وازال الزيغ والزيف عنها باعتبار ان رسالته مهيمنة على باقي الرسالات وكتابه مهيمن على باقي الكتب"وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ....."(سورة المائدة، اية: ٤٨)، فلا يكون الاسلام فقط للمسلمين بل لكافة الناس الذين يعيشون تحت قبته ودولته، فالدخول في الاسلام لا اكراه فيه لكي لا يكون الدخول اجباري وتكون دولة الاسلام قصيرة العمر بل ان بقاءها من الانتماء الطوعي، ان الدولة الاسلامية وصلت الى ابعد من ذلك انها لا تهتم بمن يخرج من الاسلام الى الكفر بشرط الا يكون من القيادات في الدولة خوفا من إشاعة اسرارها، قال تعالى:"يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ"(سورة المائدة، اية: ٤١)، وكذلك" وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ، وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ"(سورة لقمان، الآية: ٢٢-٢٣)، وكذلك"إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ"(سورة النحل، اية: ٣٧)، وكذلك "وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ"(سورة يوسف، اية: ١٠٣)، لذلك نرى ان الرسول الاعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) عندما دخل في صلحه مع المشركين كان قد كتب بنداً في الوثيقة على انه (صلى الله عليه وآله وسلم) يرجع الى المشركين اي شخص يهاجر الى المدينة مسلما، وقد فعل ذلك عملياً حينما ارجع العاص ابن سهيل القرشي الى المشركين التزاماً منه بما اقره صلح الحديبية(ابن عبد البر، ١٤٠٧هـ، ج٤، ص١٦٢١).

ان الالفة والمحبة والترابط المجتمعي يأتي من تعامل القادة والقدوة مع الافراد والفئات المجتمعية طبقاً للمبادئ والرؤى التي يؤمنون بها لذلك نرى ان الرسول الاكرم ص عندما عرض عليه بعض الصحابة وجلسائه ان يكره الناس على الاسلام لكي تقوى شوكت الاسلام والمسلمين وتزداد مواردهم ومنافعهم فقال لهم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)"ما كنت لألقى الله عز وجل ببدعة لم يحدث إلي فيها شيئا وما انا من المتكلفين"(الصدوق، التوحيد، ص٣٤٢)، وهذا نراه في قوله تعالى:"وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ"(سورة يونس، اية: ٩٩).

عند تأسيس الدولة المحمدية كان الرسول الاعظم ص قد اقر كل الديانات الموجودة في المدينة بأن يبقوا على دياناتهم حتى يقبلوا بالإسلام طواعية شرط ان لا يكون اعداءً له في الداخل ويذكر لنا التاريخ ان الاسلام قد الزم اهل الشرائع الدينية بما تلزمهم به ديانتهم وهذه هي الحرية بعينها قال تعالى:"ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ

رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ"(سورة النحل، اية: ١٢٥)، وهذا التعدد هو من الفطرة الالهية حيث خلقنا شعوبا وقبائل لنتعارف فلا يكون الدين بالضرورة مفرقاً بين هذه الشعوب والامم بل لابد ان يكون جامعاً مانعاً لها من التشرذم وهذا النسيج المجتمعي الذي يريده الله سبحانه وتعالى ما اشار اليه تعالى في مجمل كتابه الحكيم"إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"(سورة الحج، اية: ١٧)، وقد التزم المسلمون بهذه المبادئ والمنطلقات الاسلامية حتى انتقال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الى الرفيق الاعلى(يعقوب، ١٩٨٩م، ص٢٥٢).

اننا عندما نقول بالتعدد نجد ان اسسه موجودة في الاسلام من خلال الحرية الواسعة التي اعطاها الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) لمجتمع المدينة فأن جاريته لم تدخل الاسلام الا في السنة السادسة للهجرة وقد اعتقها وتزوجها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)وقد توفت في سنة ١٠هـ(المقريزي، ١٤٢٠هـ، ج١، ص١٣٣)، وهذه الحرية الموجودة عند النبي وفي بيته الكريم قبلت بمشركي مكة وعفت عنهم عند فتحها(الشيرازي، ١٤٣٣هـ ص٤٣-٤٢)، ان التعايش والتعاون والاحترام المتبادل بين شرائح وطوائف المجتمع يؤسس الى التعدد المنتج والذي دعا اليه القرآن الكريم بل انه في بعض آياته امر به(صافي، ١٤١٦هـ، ص٧٢).

وهذه الاسس القرآنية قد ترجمها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) على شكل دستور ملزم لكل من يسكن المدينة المنورة وقد اسس دستور هذه الامة على انها امة واحدة دون الناس وهذه اولى بذرات ايجاد مجتمع ذو اطياف متنوعة تحت ظل دولة واحدة بعكس ما كان معروفاً في الدول من بيزنطة وفارس، فأوجد الاسلام حق المواطنة كاملاً بعكس ما كانت تعيشه مجتمعات تلك الفترة من الطبقية والعبودية المقيتة (شمس الدين، ١٤١٤هـ، ص١٩٣).

لقد اراد العالم الغربي من خلال كتابه المستشرقين ان يغطي على الاعمال التي قام بها الرسول الاعظم من خلال تأسيسه دولة المدينة، فعمدوا الى جعل تأسيس هذه الدولة حسب رأيهم على حساب الدماء وخاصة ضد اليهود والذين ونتيجة لأفعالهم هُجّروا خارج الجزيرة العربية فلم يركزوا على افعال اليهود ضد دولة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بل ركزوا على النتائج، وهذا الاغماض قد جاء من المستشرقين محاباة لليهود، لان فعلهم هذا قد لخص عمر الرسول في بناء الدولة الاسلامية ونشر الفضيلة والعدل فيها وركزوا على تهجير اليهود من شبه الجزيرة العربية(بروكلمان، ١٩٦٨م، ص٥١)، اذا علمنا ان النصوص القرآنية لا تحث المسلمين على الحرب الهجومية بل على الحروب الدفاعية فقط قال تعالى:" وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ"(سورة الانفال، اية:٦٠)، مع هذا الاعداد

يحث على الدعوة للسلم قال تعالى:" وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"(سورة الانفال، اية: ٦١)، بل وحتى مع مخادعة العدو لا يأمره بالقتال بل بالتوكل على الله واحتساب ذلك الامر عنده" وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۚ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ"(سورة الانفال ، اية: ٦٢)، وكذلك الآية الكريمة (سورة البقرة، ١٩٠)، وهذه الآية اكثر صراحة حيث يأمره بقتال من يقاتلونه ولا يبدأ بالعدوان ابداً وهذا الاعتبار اخلاقي لان الله لا يحب المعتدين اذا علمنا ان مجموع عدد القتلى الذين قتلوا على يد المسلمين في فترة النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لا يتجاوز الالف من خلال ثمانون حرباً دفاعية (الشيرازي، ١٤١٨هـ، ص٣٥٢-٣٥٣).

ان التعددية التي انتهجها الرسول الاعظم(صلى الله عليع وآله وسلم) في مدينته لم تكن صورية بل كانت محاطة ومدعومة بحرية مزاولة المعتقدات الدينية، فحرية الافتاء والنقاشات الدينية كانت موجودة وايجابية فقد اسلم الكثير من خلال النقاشات والاجابة على الاستفهامات التي كانت تدور في عقولهم وهذا عكس ما نقرأه عن محاكم التفتيش عند سقوط الاندلس(السامرائي، ١٤٢١هـ، ص١٨٧).

ان هذه التعددية محفوظة عن الطغيان وان لا يستلب حق من حقوق الاقليات دينية كانت او عرقية فالآية الكريمة"لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ"(سورة البقرة، اية ٢٥٦)، تجبر وتوجب عدم الضغط على اي شخص لكي يتحول من دينه الى الاسلام بل بلغ الحد الى عدم الضغط على المشركين وهو ما وجدناه في التعامل الانساني بعد معركة بدر مع الاسرى وكذلك مع الطائف، كذلك عندما نتحرى حكومة الامام علي(عليه السلام) لم نجده يجبر اي أحد مشرك كان او من اهل الكتاب على الدخول في الاسلام او تحت رايته (الشيرازي، ١٤٣٣هـ، ص٢١٨).

ان اية "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" لم تترك سدى فقد حددت بقوله تعالى:"قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ"(سورة البقرة، اية: ٢٥٦)، فيترتب عليه ان يقوم الاسلام من خلال علمائه الذين حددهم في كتابه المجيد"وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"(سورة النحل، اية: ٤٣)، ببيان مبادئ الإسلام وفق كتاب الله المجيد لتصل البشرية جمعاء وفق اختلاف مشاربهم الى القناعة التامة بالإسلام، ونحن نعلم ان الانسان اذا توسعت مداركه واتجه نحو العلم والفضيلة وابتعد عن الجهل قلت ممانعته للحقيقة ويستطيع ان يتقبل الامور العقلية بسهولة، بعكس ما ضغطنا عليه بالقوة اومن خلال سلطة، فإنه قد يجبر على قبول الاسلام والدخول فيه ولكننا سنزرع في نفسه بذرة النفاق والكراهية، وهذا ما حدث في دولة المدينة عندما اسلم النفعيون والاعداء الذين لم يقدروا على الاسلام كدولة وبدون ضغط فشكلوا طابوراً خامساً لذلك نرى ان آيات النفاق وسورة المنافقين قد نزلت في المدينة دون مكة(الواقدي، ١٤١٠هـ، ص٢٨)، وهذا ما ارتكز عليه بعض الكتاب القوميين في ان الاسلام يزرع بذرة النفاق، ولكنهم اخطأوا التقدير لان هؤلاء المنافقين لم يدخلوا الى الاسلام عنوة بل بكامل الاريحية ولكنهم وجدوا ان حرب الاسلام

من الداخل اهون عليهم من الخارج فلبسوا ثوب الاسلام وبقت قلوبهم مظلمة بشركهم وهذا ما نجده جلياً في الطلقاء فقد قال سيدهم ابا سفيان" تلقّفوها يا بني أميّة"(البلاذري، ١٤١٧هـ، ج٥، ص١٢).

ان التعددية تعتبر من ابداعات الله سبحانه وتعالى للدولة المحمدية قال تعالى:"وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ، وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"(سورة الانعام، اية: ٩٨-٩٩)، ونرى في سياق هذه الآية التشبيه اللطيف جداً من خلال استخدام لفظة قنوان وهو عذق النخلة او عنقود العنب(القرطبي، ١٣٨٤هـ، ج٧، ص٤٨) وهذا التشبيه في التعدد يوحي ان هناك محوراً تدور عليه كل الارتباطات بدون اي تداخل، ان هذا التعدد والتلون الكوني هو قمة الجمال والكمال ونحن نرى ان هذا التنوع الكوني يتشكل كآية في الافاق بل حتى في انفسنا باعتبارنا جزءاً من هذا الكون وان هذا التنوع لم يكن في الاسلام فقط بل هو ما جاءت به الشرائع التي سبقت الاسلام (الصفار، ١٩٩٩م، ص٢١)، ان الاسلام باعتباره خاتم الرسالات قد وضع للتعددية قيمة عليا فلا نستطيع ان نتجاهلها او نعاكسها وذلك لكثرة مصاديقها في الشريعة السمحاء وفي مصادرها الرئيسية للتشريع من كتاب وسنة بل اننا نعيشها في انفسنا.

النتيجة:-

مما سبق نتحصل الى ان نشأة الفرق والأحزاب تاتي بمعية ولادة الدولة وفتوتها، من خلال الأفكار والرؤى التي يحملها كل فرد قريب من مصدر القيادة والقرار، وان هذا التعدد ذو مقبولية وفق الأسس التي قامت عليها الدولة، وهذه الأسس مؤطرة وفق الشريعة بقبول الاخر بشروط الانتماء للامة الإسلامية، وهذا الانتماء مشروط كذلك بعدم الاكراه للانتماء بالدين سواء باي أسلوب من أساليب الضغط، بل وصل الحال الى تحريم ذلك، وهذا كله لا يؤثر على الوحدة الإسلامية ورسالتها.

ان الرحمة التي يحملها الإسلام في تعاليمه تجعله لا يتعامل مع الاخر بعدائية، وهذا واضح من خلال احترام معتقده، وكذلك لم يسلك الاسلام العنف طريقا لأسلمة المجتمع، بل رسخ فيهم حرية المعتقد أملاً بفهم راسخ لما جاء به من تصحيح للمعتقدات المنحرفة، ان هذه الفرق و الأحزاب التي قامت على التعددية وفق قبول الآراء و المعتقدات المختلفة و المؤطرة بنظام الرسالة العامة للناس اجمع كفيلة بوصول المجتمع الى قمة المدنية و التقدم الحضاري.

المصادر:-

- القرآن الكريم .

- ابن ابي الحديد، عز الدين ابي حامد بن حميد(ت ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: حسين الاعلمي، بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات،١٣٨٧هـ.

- ابن الاثير، عز الدين أبو الحسن علي(ت ٦٣٠هـ) ، أسد الغابة في معرفة الصحابة، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩هـ..

- ابن الاثير، علي بن أبي الكرم(ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ، بيروت: دار صادر، ١٣٨٥هـ.

- ابن حزم، علي بن أحمد، الإحكام في أصول الأحكام، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٤٠٣ هـ.

- ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد(ت ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ.

- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله(ت ٦٢٠هـ)، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة، بيروت: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ١٤١٥هـ.

- ابن فارس، الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السالم محمد هارون،بيروت: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، د ت.

- ابن قتيبة الدينوري، عبد الله ابن مسلم(ت ٢٧٩هـ)، الإمامة و السياسة المعروف بتاريخ الخلفاء، تحقيق: علي شيري، بيروت: دارالأضواء، ط١، ١٤١٠هـ.

- ابن كثير، إسماعيل ابن عمر(ت ٧٧٤هـ)، البداية و النهاية، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٧هـ.

- ابن منظور، محمد بن مكرم(ت ٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

- ابن هشام، عبد الملك(ت ٢١٨هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، بيروت: دار المعرفة، د.ت.

- الإسفرائيني، أبو المظفر، التبصير في الدين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٩٨٣م.

- بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس، بيروت: دار العلم للملايين، ط٥، ص١٩٦٨م.

- البستاني، بطرس، محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية، بيروت: مكتبة لبنان، ١٨٦٩م.

- البسوي، يعقوب بن سفيان(ت ٢٧٧هـ)، كتاب المعرفة و التاريخ، تحقيق: أكرم ضياء العمري، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠١هـ.

- البلاذري، أحمد ابن يحيى(ت ٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤١٧هـ.

- الثقفي، إبراهيم بن محمد(ت ٢٨٣هـ)، الغارات، تحقيق: جلال الدين الحسيني الأرموي، طهران: لجنة الآثار الوطنية، ١٩٧٤م.

- الجوهري،إسماعيل بن حماد(ت ٣٩٣هـ)، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ.

- حسن، حسن عباس، الصياغة المنطقية للفكر السياسي الاسلامي، بيروت: الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٢هـ.

- حسن، حسن عباس، الفكر السياسي الشيعي الأصول والمبادئ، بيروت: الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٨م.

- الحر العاملي، محمد ابن الحسن(ت ١١٠٤هـ) ، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، ١٤١٤هـ.

- السامرائي، نعمان عبد الرزاق، النظام السياسي في الاسلام، الرياض، مكتبة الفهد الوطنية للنشر، ط٢، ١٤٢١هـ.

- - شمس الدين، محمد مهدي، في الاجتماع السياسي الاسلامي، قم: دار الثقافة للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٤هـ.

- الشيرازي، صادق الحسيني، السياسة من واقع الاسلام، تحقيق: مؤسسة الرسول الثقافية، بيروت: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٣٣هـ.
- الشيرازي، محمد الحسيني، الصياغة الجديدة لعالم الايمان والحرية والرفاه والسلام، الكويت: مكتبة جنان الغدير، ط٤، ١٤١٨هـ.

- الشيرازي، محمد الموسوي(ت ١٣٩١هـ)، ليالي بيشاور..مناظرات وحوار، تحقيق: حسين الموسوي بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

- الشيرازي، محمد، كتاب الجهاد، بيروت: دار العلوم، ط٢، ١٤٠٩هـ.

- صافي، لؤي، العقيدة والسياسة، ، ط١، واشنطن: المعهد العالي للفكر الاسلامي، ط١، ١٤١٦هـ.
- الصدر، حسين(ت ١٣٥٤هـ)، الشيعة وفنون الاسلام، تحقيق: مرتضى الميرسجادي، قم: مؤسسة السبطين(عليهما السلام) العالمية، ط١، ١٣٨٥هـ.

- الصدوق، محمد بن علي بن الحسين(ت ٣٨١هـ)، التوحيد، تعليق: هاشم الحسيني الطهراني، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت.

- الصفار، حسن، التنوع والتعايش، بيروت: دار الساقي للطباعة والنشر، ١٩٩٩م.

- الطبرسي، أحمد ابن علي ابن ابي طالب، الاحتجاج، قم: منشورات الشريف الرضي، ، ١٣٨٠هـ.

- الطبري، محمد بن جرير(ت ١٣٨٧هـ)، تاريخ الأمم و الملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار التراث، ط ٢.

- الطبري، محمد بن جرير(ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، القاهرة: مركز الكتاب العلمي، ط٢، ١٤٨١هـ.

- القرطبي، محمد ابن احمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ.

- المحروس، كريم، الفرق الإسلامية.. المنشأ السياسي وتحولات الصراع، لندن: مؤسسة الرافد للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٨م.

- محمديان، محمد، حياة أمير المؤمنين (عليه السلام) عن لسانه، قم: مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٧هـ.

- المسعري، محمد بن عبد الله، محاسبة الحكام، لندن: مؤسسة الرافد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٨هـ

- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال و الأموال و الحفدة و المتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٠هـ.

- الواقدي، محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: يحيى الجبوري، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤١٠هـ.

- هوفمان، مراد، الاسلام كبديل، ميونيخ: مؤسسة بافاريا ومجلة النور الكويتية، ط١، ١٤١٣هـ.

- يعقوب، احمد حسين، الخطط السياسية لتوحيد الأمة الإسلامية، بيروت: دار الثقلين للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٥هـ.

- يعقوب، احمد حسين، النظام السياسي في الاسلام، لندن: مؤسسة الفجر، ١٩٨٩م.

المجلات العلمية:-

- الشهري، محمد بن حسن بن زاهر، اختلاف الصحابة في فهم بعض مسائل السنة، مجلة بحوث اسلامية، اليمن، الحديدة، العدد ٥، ١٤٣٧هـ.

- الميلاد، زكي، "التعددية الحزبية في الفكر الإسلامي، التأصيل، الأنماط، التحول"، بيروت، فصلية الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، السنة١، العدد٢، ١٤١٤هـ.